واقع اللغة العربية في البحث العلمي اللغوي في بعض جامعات نيجيريا

د. عبدالله مسعود غاتا

المقدمة

كانت العربية منذ أن وطئت قدميها في أراضي نيجيريا تعتبر لغة العلم والثقافة، ولعبت دورها في إنارة عقول أهل هذه الديار، وهي الوحيدة التي احتفظت لهم ماضيهم وتراث أجدادهم وقيّد بها آباؤهم علومهم ومعارفهم ثم الوثائق والوقائع، كذلك الأحداث التاريخة، فالرعيل الأول من الآباء أخذوها وأدووا فيها الأمانة قدر ما سمح لهم الحال واقتدوا بأساتذتهم منهجا وأسلوبا، والقارئ لأقلامهم لا يكاد ينفك بينها وانتاجات مشائخهم لأنهم ينهلون من معينهم مباشرة، وهكذا كان الحال إلى أن التفت عيون المستعمرين إلى هذه البقع، وأقبلوا عليها بأحبولتهم ومكيداتهم، وعمروا شوارعها بأقدامهم وأسلحتهم وقضوا على أعلامها بالأخيلة والآمال واستبدلوا الأدنى بالذي هو خير، وضرب الله عليهم الذلة والمسكنة لما قدموها للعربية وأهلها من تدمير وإهانة. ولما اضطرب الحال وظلت الحاجة ماسة حينما افتقروا إلى معرفة شئ عن إفريقيا وحضارتها فلم يجدوا بدا إلا العربية والرجوع إليها وذلك بعدما أنشأوا جامعة إبادن أولى جامعات بنيجيريا بإضافة قسم العربية والدراسات الإسلامية إليها لهذه المهمة(١) ومن هنا أسكنوا البيت بانيها وأعطوا القوس باريها، ومن هذا المنطلق استطاعوا أن يعرفوا ماضيهم ويصلحوا به يومهم لأن صاحب الدار أدرى بما فيها، اللهم إلا أن بعض الجامعات اليوم ما استطاعوا أن يلحقوا بغبار أخواتها في البلدان الأخرى في دراساتهم وبحوثهم التي تقدمها طلابها لأقسام العربية لنيل الألقاب العلميةحيث أنهم ما زالوا يدورون حول العناوين التي أكل عليها الدر ثم لم يحسنوا منها بشئ، ولم يضيفوا إلى العلم شبرا.

الكتابة العربية في نيجيريا قبل الجامعات:

نالت العربية عند أهل نيجيريا عناية فائقة منذ أول عهدهم بها وكانوا يأخذون الشذرات من ألفاظها من ألسنة التجار الوافدين إليها مما يستعان به في مزاولة أمورهم التجارية من معرفة أسماء بعض الأشياء من الأواني والبضائع التجارية التي لا توجد بهذه الديار حينئذ، ثم كتب الله لها الشيوع والازدهار بفضل الدين الإسلامي، وأقبل الناس عليها بكل حماسة وابتهاج، وتطورت بها حضارتهم ورفعتهم من الحضيض إلى السماء، وظل الناس يقرءون عنهم وآثارهم من الأداني والأقاصي، والأيام شهدت لذلك كما سعدت بهم الأنام، وتركة آل فودي ومن معهم من العلماء من ذوى الأقلام الفياضة خير شهود فيما كنا بصدده، وآل فودى وغيرهم من العلماء بهذه الديار – نيجيريا – لبوا نداء مشائخهم في إسعاف من دونهم من أبناء دينهم، لذلك أكثروا من الكتابة في جميع الفنون ويرغبون الغير في هذا العمل، يقول الشيخ عثمان بن فودي «تآليفنا كلها تفصيل لما أجمل في تآليف العلماء وتآليف العلماء المتقدمين تفصيل لما أجمل في الكتاب والسنة» وعلّق على هذا القول علي أبوبكر بقوله: ولئن دل كلامه هذا على شئ فإنما يدل على تواضعه واعترافه بالحقيقة من أنهم لم يأتوا بجديد لم يذكره المتقدمون وإنما قاموا بتوضيح ما أجمله المتقدمون وشرح الغامض منه لتقريبه إلى فهم قرائهم(٢)». يقول عبد الباقي شعيب أغاكا: «ومن المقطوع به أن الأدب العربي كان وليد تلك الحضارة الإسلامية الزاهية، فجرها استيعاب العلماء، والفقهاء والمفكرين، والسلوكيين، وصقلها الأدباء والبيانيون من ينابيع الكتاب والسنة على اختلاف مشاربهم، وميادينهم وقامت شروحهم وتعاليقهم كنوزا ومصادر دسمة للاستناط والابتكار والإبداء».(٣)

وكان ممن يسير على هذا الدرب

على ما علمه الكاتب في هذا العصر هو أ. د. عبد الباقي شعيب أغاكا وعليه جل أعماله، وله على وجه التمثيل لا الحصر: الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، وأساليب بلاغية في ديوان عبد الله بن فودي، ثم البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي إضافة إلى بحوث عدة لم تشهد نور الحياة، فهي مخطوطة في مكتبته الخاصة، وهكذا ظل الأمر عند بعض الباحثين وظلوا يخرجون مخطوطات آبائهم للتحقيق والنشر ولعل إمامهم في ذلك من أبناء البجدة بعد هسكت الذي حقّق تزيين الورقات لشيخ عبد الله بن فودي هو آدم عبد الله الإلوري الذي حقّق وقدّم وعلّق على جل إنتاجات علماء إمارة إلورن وتبعه في ذلك أكابر العلماء حتى الأكديميين يستخدمونه للحصول على الترقية في ميادينهم المختلفة، يقول الإلوري مبينا موقفه تجاه هذا العمل – البحث عن آثار العلماء والاعتناء بها حتى لا ينقرض «وكذلك اهتمت بالبحث عن آثار العلم والعلماء في كل بلد من تلك البلاد في كتاب الدراسات الأدبية على أن من يحاول حصر علماء نيجيريا في كراسة صغيرة أو كبيرة أشبه شئ بالذي يحاول حصر أوراق الأشجار في بستان من بساتين الحديقة أو خملية من خمائل الربا في الغابة. (٤)

وهذه الفقرة وما شاكلها تقرر كثرة العلماء وما عثر منهم من الآثار مما يتوهمها البعض أنها من تركة أبناء العرب الذين لم تشب عربيتهم شيء من اللحن فضلا عن العجمى في ترقية أساليبها وأصالة أفكارها، واستيعابها لما يجيش في صدور أربابها، وكانوا يتحرون من الألفاظ العربية ما تروقهم حتى في أسماء تواليفهم ويسعون وراء السجع وتوافق الأطراف منها: ضياء التأويل في معاني التنزيل، للشيخ عبد الله بن فودي وله أيضا تزيين الورقات في بعض مالي من الأبيات. وهو أنبه علماء نيجيريا في عصره، ومصداق ذلك يظهر في إنتاجاته لأنه على نحوما اتفقت عليه أقوال المؤرخين كتب ما لا يقل عن مائة كتاب في ميادين مختلفة، جلها مخطوطة وقد حقق بعضها وبعضها لم يحقق بعض.

التقاط المتون في خمسة الفنون للشيخ أحمد بن أبى بكر إكوكورو، وله أيضا أخبار القرون من أمراء بلد إلورن، وللشيخ محمد ميماسا فتح الخلاق في الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق، وكتابه تطهير القلوب في معرفة العيوب، كذلك نسيم الصبا في أخبار علماء بلاد يوربا للشيخ آدم عبد الله الإلوري، وله أيضا الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ونظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، والإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ومصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية وغيرها، وانتاجاته على حد قول الباحثين تقرب مئة إضافة إلى بعض مقالاته والكتب المدرسية أخرى، اللهم إلا أنه يلاحظ على إنتاجاتهم مع الوضوح في معانيها والتسلسل في أساليبها والانسجام التام بين الألفاظ والمعاني، أنهم يقصدون بها أبنائهم الطلبة ويرعون بها أفكارهم لكي يتوسلوا بها إلى أمهات الكتب يقول الإلورى:

«فإذا كنت كتبت في موضوع علمي أو ثقافي أو تاريخي فإنما أكتب لأبناء جنسي أولا لست أنوي بكتابتي المجال الدولي، فلا تلبث الدوافع تدفع بالذي أكتب إلى الأفق العالمي فيحتاج إلى الإضافة والزيادة ليناسب المستوى الرفيع»(٥).

ولعل الكاتب في هذا الصدد يضرب مثلا بنبذة يسيرة مما حررته أقلامهم، تطابق كل المطابقة ما يطلق عليه بالأحاجى النحوية عند علماء اللغة استظهارا لنبوغهم ورسوخ أقدامهم في العربية وفنونها.

يقول الشيخ أحمد بن أبى بكر إكوكورو نقلا عن شيخه محمد بيغورى: «الإعراب فيما مثل لنا شيخنا الفلاني قطب الزمان وفريده محمد بيغورى أنه رجل اشترى أمة وهي الكلمة مع ابنها وهو الحرف فتسرى بها فولدت منه ولدين: هما الاسم والفعل، فمات الإعراب عن أربعة أحوال: الرفع والنصب والجر والجزم، فقسما الميراث، وأخذ الاسم الرفع ونازعه الفعل، وأخذ قسطا منه، ثم أخذ الاسم النصب ونازعه الفعل أيضا وأخذ منه قسطا، وانفرد الاسم بالجر والفعل بالجزم ولم يتنازعا فيهما وكان الأمر بينهما كذلك وبقى الحرف لم يرث ولم يورث بل صار حرا لأنه أخوهما للأم». (٦)

وقد دار العلماء حول هذه القطعة بالدراسة والتحليل إعجابا لقائله وعبقريته الفذة ثم ما احتوى عليها

النص من خصائص فنية راقية، وبديهة مرهفة توقظ همم الطلبة.

هذا شيئ عن حال العربية وأهلها في نيجيريا إلى أن تورط أقدام المستعمرين إلى هذه الأراضي، وعملوا كل المكيدات في تدميرها ومحاربة أهلها، وهذا يذكّر الكل صنع المغول والتتار بأراضى المسلمين ومقر الدولة الإسلامية يومئذ إذ قتلوا العباد وفتقوا البلاد لولا فضل الله عليها لظلت العربية في خبر كان ولطويت أثارها في سجل النسيان معاذ الله من ذلك.

يقول عبد الباقي أغاكا مشيرا إلى ما آل إليه الحال بعد نزول هؤلاء الدجالين الذين بذلوا قصارى جهودهم في تجميد العقول وتعطيل المشاعر وحاربوا الإسلام والتعلم كذلك العربية والتقدم: «وعلى أثر الانتصارات الرائعة في جميع الثغور استهدفهم الاستعمار الغربي، وضرب عليهم خيام الاستعباد، وانتهت مناوراته بفوز الشعب الانكليزي على منافسته أسبانيا، وفرنسا وألمانيا، وبلجيكا، عقب مؤتمر برلين ١٨٨٢م، ولم يكد يحتل البلاد حتى ادعى مراوغا شرعية إيقاف حقن الدماء، ووضع الحرب أوزارها مختلقا شعار الصلح، والسلام، والهدنة بين القباتل المتنازعة كذبا ومينا، ولم يطل به العهد حتى انقلب هو وأتباعه وأعوانه أساطين سطوة جبابرة ليس من الشعب وسعادته بل للتظاهر على الخيانة والدساسة ذئابا في ثياب الأرانب، يمارسون سياسة القمع، والهدم، والشجب ضدكل قيم ومثل، فواقع تراثنا الإسلامي على مفترق الطرق، واتبعه رواده حيارى، فثلت عروشهم الأدبية، وانهارت قممهم البيانية شذر مذر منقلبين على دور وتسلسل، لم يحكمهم منطق سليم، ولا استقرار حكيم، بل إنهم كانوا تارة تقودهم طموحات حارفة لإعادة العزة التي آلى عليها أسلافهم إتمام بناء أركانها الناقصة، منكبين على تجميع الماضى وتخيره، ومرة تهدد كيانهم هزائم متكررة منوا بها على أيدى الغزاة المحتلين، يشد أزرهم أعوانهم الخونة من الشعب النجيري، وكلما وفدت ظاهرة من الحضارة الغربية ازدادت كلوم المؤمنين وأحزانهم، لأن ما ضاع من قيمهم أنكى وأدهى مما جلبت عليهم الروافد الأجنبية(٧).

وقد أظهر القائل في هذا الكلام ما كان حال شعب نيجيري وما آل إليه من قبل المستعمرين الذين أتوا إلى ديارنا محاربا لعادتنا وتقاليدنا الإسلامية كذلك لغتنا العربية وما يتوسل إليها لفهمها وأساليب أربابها مما يثيرون بها همة الأمة وينشطون قارئيها، ويجذبون بها الانتباه كما يحركون كامن الإحساس، ولما أفق أهل نيجيريا وحاربوا من يخربوا بيوتهم بأيدبهم ومؤيديهم من المواطنين،أنشأوا المدارس ومنها الجامعات ليسدوا بها ضد العربية وأهلها ووضعوا قوانينا للقبول مما يعسر على المنتسبين إلى العربية نيلها، وأبى الله لهم ذلك والتحق من التحق بهذه المؤسسات العلمية من النيجيريين وكتب الله لبعضهم الرحلة إلى الخارج إما إلى الشرق أو الغرب وعادوا إلى ديارهم سالمين غانمين.

البحث العلمي في جامعات نيجيريا :

كان البحث العلمي من المواد الأساسية أو المتطالبات المفروضة على طلاب الجامعة والمعاهد العليا قبل الحصول على الشهادة أو لنيل الألقاب العلمية بعد ما أجريت عليه القوانين أو قواعد البحث المعترفة بها حسب عادة الجامعات والمعاهد التي يتعلم فيها الطالب، وهو الذي ينمى في الطالب مواهبه وقدرة التطلع والمثابرة والتنفس عن بعض القضايا، يقول أيمن أبو الروس «وتعتبر الجامعات هي أهم الجهات التي تهتم بموضوع الأبحاث، حيث إن الهدف الأساسى من التعلم الجامعي هو تنمية قدرة الطالب على البحث وجلب المعرفة والتوصل إلى الحقيقة.(٨)

ولعل الباحث في هذا الصدد يتطرق إلى تعريف كلمة البحث من حديه المعجمى والدلالي، فالكلمة على حد قول ابن فارس. الباء والحاء والثاء أصل واحد يدل على إثارة الشيئ، ومعناه الفتش وطلب الشئ، ويقال بحث عن الخبر أي طلب علمه، وبحث عنه من باب قطع، وابتحث عنه، أي فتش. (٩)

وفي لسان العرب البحث هو أن تسأل عن شيئ وتستخبره، أي أن البحث هو طلب معلومات وأخبار عن شيئ معين، وهذا الشيئ المعين هو المكنى عنه بـ موضوع معين. وفي الاصطلاح، هو ما يشمل كل انتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم بوجه عام أو الدراسات اللغوية بوجه

خاص أو فكرة من أفكارها، أو مشكلة من مشكلاتها سواء أكان هذا الانتاج:

١- كتيّبا يعالج موضوعا قصيرا، وكان القدماء يطلقون عليها اسم رسالة أو محاضرة.

٢- أم كتابا مختلف الحجم، وغالبا ما يبدأ بصفحات تقارب المائة، وتزداد صفحاته حتى تبلغ المئات، فإن زدت زيادة مسرفة قسم الكتاب إلى أجزاء حسب موضوعاته وأبوابه الكبرى(١٠).

وتختلف الاصطلاحات في تقسيم البحث عند الباحثين اليوم منهم من يستخدم الباب والفصل أو الفصل والمبحث، وحجم المكتوب هو الذي يقترح به ما يناسب من الاصطلاحات إلا أن بعضهم قد تعودوا أسلوبا معينا، ومن خرج عليهم من هذا المصطلح فقد ارتكب خطأ فاحشا عندهم.

وهكذا وجه علماء الجامعة طلابهم إلى كتابة البحوث مما أفترضت عليهم الجامعة، واتخذوا سبيلهم إلى تلك الأمنية في تكليفهم الواجب المنزلي ثم البحوث الفصلية، وقد يكون الواجب المنزلي جماعي أو فردي، يبنى ذلك على نسبة عدد الطلاب الموجودة في الفصل، أو فراغ الأستاذ لمطالعة هذه المكتوبات، ويمنح الدرجات بحسب ما أستحسنوه من الأساليب وعرض القضايا ودرجة اطلاعهم على الكتب المتعلقة بالموضوع، ومدى تأثرهم بأساليب الكتّاب الفحول فيما تمت العنوان بالصلة، ومنهجهم في إيراد القضايا وترتيب الأفكار حتى استنسر البغاث بأرضنا، وعلى هذا دربوهم في سنتهم الأولى والثانية في الجامعات والكليات، أما فيما قبل الأخير من حياتهم الجامعية فيضاف إلى موادهم المدروسة مادة كتابة البحث، ويبين الأستاذ لهم كيفية الأخذ والأداء من المراجع والمصادر وأنى ينقل النصوص والتعليق عليها واستخدام العلامات من نقطة وفاصلة وعلامات التنصيص وما درسوا من قواعد الإملاء والإنشاء، والنحو، والبلاغة، وما يستعينون بها من المعلومات، ويفتحون أعيونهم إلى كيفية اختيار الموضوع الرئيسى وما يتفرع منه، واختتام البحث بذكر ما حصلوا عليه أثناء البحث وما يستنتج منه عند كتابة الاقتراحات والتوصيات وكتابة الهوامش والحواشي أو التذييل موافقا لسنة الجامعة التي تقدم إليها الرسالة أو البحث.

البحث العلمي اللغوي في جامعات نيجيريا :

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن بعض الجامعات بنيجيريا ما زالوا يعيشون على العناوين التي أكل عليها الدهر وشرب، مما قد نفى العلماء عنها الغبار بحثا منذ عهد قديم، وما استطاع هؤلاء وأبناؤهم الطلبة أن يتماشوا مع العصر وقضايا الساعة، وأسرف المعاندون لهم أو التقليديون الذين يثيرون ضد الجامعة وتعاليمها أن يشيروا إليهم بالبنان الحقيرة والهذلان، ويأتون بالعناوين التي تشمئز منها قلوب الذين يباشرون العمل ويقرون أن المجال قد توسع من ذلك حتى الحياة أيضا تسئم منها ويعتبرونهم بهذا الصنيع بغالا في أحلام الأظافير، لما لهم من الألقاب العلمية وهم أرانب في ثياب ذئاب لم يضيفوا إلى العلم شيئا، فأين هم من مزايا العلوم الجامعية التي بنيت للانفجار بالنمو العقلي والتقدم الحضاري، وكما يدرك بعض الجامعات اليوم بما لهم من رغبة شديدة في الموضوعات التي تثير العاطفة ويحرك الضمير وأنهم يحاولون قدر ما سمح لهم الحال منافسة إخوانهم العرب في كتابتهم البحثية مع تقلبهم بين ثقافات عدة وتحديات متنوعة، كالإنجليزية ومكيدتها والفرنسية وأحبولتها، والعربية مع تضييق المسئولين عليها وعدم إعطائها ما يليق بها من العناية يوجد بعض الأشخاص الذين لهم رغبات خاصة وحماست مرهفة تهدف إلى التنمية والتقدم اللذين كانا من المبادئ الأساسية في انشاء الجامعات. والبحث اللغوي المشير إليه في العالم اليوم لم يكن إلا بحثا تتحد حقيقته بكونه بحثا مقيدا بأنه تتصل بدراسات اللغة من ظواهرها المختلفة اتصالا وثيقا، ولا يخرج عنها فقد يكون هذا البحث في: -

١- دراسة علم من أعلام اللغة كالخليل أو ابن فارس أو ابن جني وبيان أثره في الدراسات اللغوية، مع ذكر منهجه في التأليف وتناول الموضوعات اللغوية.

٢- أو في دراسة قضية من قضايا اللغة أو نظرية من نظرياتها كقضية المشترك اللغوي والدلالة، والثنائية، والمناسبة بين الألفاظ

ومعانيها، وقضية الخط العربي، والفصحى والعامية، وغيرها من القضايا اللغوية التي كانت محط أنظار العلماء وموضع اهتمامهم»(١١).

لقد أبلى بعض جامعات نيجيريا بلاء حسنا، ووولوا عنايتهم نحو تقدم العربية وثقافتها ويتحمسون لها كل الحماسة ويختارون ما يروقهم من العناوين للبحث كما يتحرون من المشرفين المتخصصين حتى يستطيعوا أن يروى الطلبة من غلتهم، لأن العنوان يعتبر لجاما لصاحبه ولا سيما ما كان منبعثا من عاطفته وتجاربه في الحياة، وما كثرت فيه ميوله حتى يستطيع أن يعطيه حقه، ويسعفهم في هذا الصنيع الشبكة الجوية أو الانترنت مما أتت بها العولمة ثم الاتصال المباشر ببعض الإخوة الذين يعيشون في البلدان العربية، كذلك البحوث التي أجريت عليها قواعد البحث وحصل بها أصحابها على الألقاب العلمية ثم نشرت أم لم تنشر بعد، كما يدرك في هذه الجامعات أو الأقسام العربية منها مسابقة المنتمين إليها مع إخوانهم في الميادين الأخرى كالانجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات التي اعتن بها الحكومة النيجيرية كل العناية فكانوا لا يتهونون في اختيار موضوعاتهم البحثية في أعمق فروع علم اللغة نظرية كانت أم تطبيقية، وكتبوا في علم الدلاية ونظرية المعنى عند القدامي والمحدثين كذلك عن المعجم العربي والجدير بالذكر هو أنهم يطبقون قواعد هذه الفنون ومفاهيمها على إنتاجات علماء هذه الديار حتى يصطبغوها بثوب الحداثة والعمران، مثال ذلك ما قام به النقاد حول تركة آل فودي والشيخ عبد الله على وجه التخصيص.

وقد يضرب الكاتب في هذا الصدد مثلا بما قام به أحد كتابهم في نيجيريا استشهادا بمحهوداتهم وتأييدا لمذهبه لئلا تكون هذه الأمور دعاية أو برقا خلبا وسحابا لا ماء فيه فالبحث بعنوان: المعجم العربي في إمارة إلورن عرض وتحليل، فالبحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي وتمت مناقشته عام ٢٠١٠م لكنه لم يسعد بوجود خبير من الممتحن الخارجي حتى عدّل العنوان إلى دلالة المفردات في إمارة الورن ما بين ١٨٠٠-٢٠٠٠م لأن الكاتب بنى عمله هذا على منهج علماء اللغة الحديثة في عرض القضايا المعجمية وعلى الأسلوب الذي رسمه أ. د. البدراوى زهران في كتابه: المعجم العربي تطور وتاريخ، وهو يقول في تعريف المعجم: منهج يدور حول الكلمة شرحا وايضاحًا ليجلو منها ما يعرف بالمعنى المعجمي فمادة المعجم هي الكلمات التي يدور حولها نشاطه بالشرح والتحليل تاريخيا أو وصفيا يحقق غايته في التعريف الدقيق للكلمة وتطوراتها واشتقاقاتها، وطريقة نطقها وكيفية هجائها ويعطى مداخلها من حيث المادة والصيغة ونوعها الجرماطيقى أي كل ما يتصل بالمنهج الصوتي والصرفي والاشتقاقي والنحوي»(١٢).

وقد نص على هذا المنهج قبله د. تمام حسان وغيره من علماء اللغة وحجتهم في ذلك هي أن المعاجم العربية يجب أن يضاف إليها أبعاد جديدة وأن تخدم من خلال نظريات لغوية متنوعة تمد علم اللغة العام في آفاقه المتنوعة بنظريات لغوية جديدة غير مطروحة في الأفق اللغوي الآن، ولعلهم بهذه العملية يعيدون للعربية مجدها ويقرون في أذهان أبنائهم أن ما ينشده العالم كان من تراث الآباء الذين أفنوا حياتهم في فتح عيون الناس، وتغذية عقولهم بالعلوم والمعارف من اللسانيات وعلوم الكون.

يقول البدراوي: فإن كتب التراث وعاء حضارى ازدهرت به دنيا الشرق قديما، وهي مشاعل حضارة اليوم يغترف منها الغربيون ما شاءوا من نظريات ومناهج – وكم نحن في حاجة إلى إعادة مطالعة هذه الأعمال وتعميق الفكر من حولها لنستخرج ما فيها من أبعاد وتقدم من خلالها ما يعيد لنا الريادة في هذا المجال ونوظفها توظيفا نافعا يرقى بنا علميا وحضاريا.

فحاجتنا لها ماسة على مستوى الدرس النظرى وعلى مستوى الدرس التطبيقى العلمي، وإن مثل هذا التوظيف تحي به الأمة أنفس أبنائها، فنحن أمام زاد نافع للبشرية أجمع بما تحويه الكتب المتخصصة مما هو متصل بموضوعنا في علم مفردات اللغة.(١٣)

حاول الباحث في عمله المذكوز آنفا أن يبرز ما للعربية من التوسع الدلالي وقطع للفيافي في رفع العربية وفنونها، وجعل بحثه على الشقين النظري والتطبيقى فالأول في ذكر إنتاجاتهم

المناسبة، وتاريخ نشأة تلكم المفاهيم فيهم ثم الأطوار التى مرت عليها هذه الميادين إلى أن استوت على ساقيها وقدميها، والأخير يجلوا في حمل هذه الأعمال على الموازين التي تقاس بها الأعمال الأدبية حتى ترتقي إلى أن تكون نصا خالدا يستشهد به الأقاصي والأداني.

فالمستوى الصوتي مثلا أشار الباحث أنه بدأ تعلمه من خلال علم التجويد لأنه هو الذي يوصلهم إلى قراءة القرآن قراءة مجودة، وتعلم نطق الحروف هو نقطة الانطلاق العربية وبما أن غايتهم في فهم العربية هي محاولة فهم مضامين ما في القرآن، وأن الإسلام هو الذي فرّض عليهم تعلّم العربية وبقية العوامل تأتي في المرتبة الثانية في الإسلام لهذا يدرك أن الأدب العربي النيجيري كان في بدء الأمر أدب إسلامي محضا. يقول الإلوري «وإن بلاد العجم تختلف تماما عن بلاد العرب في قوة هذا النضوج إذ الإسلام هو الذي ولا يزال يمهد السبيل للأدب العربي في بلاد العجم.

كما أن النضوج الأدبي يحتاج إلى زمن حتى يبلغ العجم مبلغ العرب في الإنتاج، وإنما يتعلّم المسلمون اللغة العربية بالدرجة الأولى ليفهموا بها أصول دينهم، أما تعلمهم العربية للإنتاج الأدبي ففي الدرجة الثانية، ومن ثم يزدهر الأدب العربي الذي يقوم على الثقافة الإسلامية المعتمدة على القرآن والحديث والفقه وما يتصل بها من قواعد اللغة كالنحو والصرف والبلاغة فيستفيض الإنتاج في الشعر والنثر.(١٤)

هذا ما قاله أحد مؤرخي الأدب العربي النيجيري في إقراره أن الإسلام هو الذي مهد الطريق للعربية وتعلمها بهذه الديار في بدء الأمر، إذ الحال قد تغير نوعا ما بوجود بعض الناس من الموطنين يتخصصون في العربية في جميع المستويات العلمية وليسوا بالمسلمين، لكن لكونها لغة العلم والثقافة، وقد يكون تعلمها لعلاقة تجارية أو دبلوماسية وغيرها.

ولعل الكاتب في هذا الصدد يستشهد بملخص البحث الذي يتحدث عنه، تأييدا لكلامه يقول صاحبه «إن هذا العمل المتواضع ظل نفثة مصدور مما يعاني منها الباحث منذ أمد بعيد، فيما تحتاج إليه الإنتاجات المأثورة – التراث العربي عند علماء إمارة إلورن – لأنها دولة أقيمت لخدمة العربية والدين الإسلامي، فأصبحت تدافع عنهما بكل ممتلكاتها بل آضت حصنا حصينا لهما.

ولعل هذا البحث يتناول الكلام عن كيفية نشأة المعجم العربي وعوامل تطوره بهده الإمارة، كما يستشهد الباحث بالانتاجات الأدبية الموجودة لدى أبنائها ويحللها على حسب طاقته، وكانت الدراسة في هذا البحث على أربعة مستويات لغوية – صوتي، صرفي، نحوى ودلالي، وتحصر في شيئين هامين هما: النظرى والتطبيقى، في حين يؤيد أفكاره بأقوال العلماء اللغويين القدامى منهم والمعاصرين ولعل ذلك يحصل للبحث ما يليق به من المكان في المجال الأكاديمي.(١٥)».

هكذا كانت البحوث العلمية في هذه الجامعة وما شاكلها من الجامعات في نيجيريا مما يسعون وراء تقدم العربية، وأن يستطيع طلابها منافسة زملائهم في البلدان العربية، ويلعبوا دورهم في المجتمع على الوجه المرجو.

الخاتمة

كانت نيجيريا من أرقى البلاد التي اهتم أهلها بالعربية منذ أول عهدهم بها، لما لها من أدوار فعال منذ أن وطئت أقدامها بأراضيهم، وهي التي احتفظت لهم ماضيهم وتراث أجدادهم، وظلت فيهم لغة العلم والثقافة كذا الدين والدنيا، ومنّ الله على نيجيريا إذ أقبلت عليها التجار المسلمون، واستفاد منهم أهل الديار لأن التجار هم رسل الحضارة، ثم الإسلام مهدّ لهم الطريق بإنشاء مدرستين عربيتين أولها للصغار وهي الكتاتيب أو مدرسة القرآن، والأخيرة للكبار وهي مدرسة العلوم ويؤخذ فيها بعض المعلومات الدينية والمفردات العربية، وبدءوا يحفظون الشذرات من الألفاظ العربية، وأخذوا طريقتهم من بعض الكتب العربية المستوردة كالأشعار الجاهلية ومقامات الحريري، ونيل الأماني في شرح التهاني «الدالية» ومقصورى ابن دريد وقصيدته لا تركنن. إضافة إلى ما تواترت لديهم من الكتب الفقهية في مذهب الإمام المالك كالعشماوى والأحضري ومقدمة العزية ومتن الرسالة وشرحها الثمر الداني، ومختصر الخليل وغيرها ويتعلمون هذه ليتوسلوا إلى فهم مضامين ما في

القرآن.

تلك هي طريقتهم في الأخذ – مرحلة التعلم – أما الأداء فهم يشرحون ويقيدون معاني هذه المعلومات إما بلغتهم المحلية لكن بالحروف العربية ويسموها بالعجم – أو بالألفاظ العربية على حسب مقدرة الطالب الذي يدوّن هذه المعلومات، ثم بكتابة الرسائل بقسميها الديوانية أو الرسمية والإخوانية – بهذه فتحوا باب التدوين، وهمهم في ذلك أنهم يضبطون الوثائق والمعلومات لمن دونهم من أبناء دينهم الطلبة، وهكذا يوجد العوامل التي ساعدت في وجود العربية وتطورها بهذه الديار وهي تنحصر في التالية – التجارة، والدين، والثقافة، ولكل من هذه العوامل أدوار ومفردات أضافها إلى اللسان العربي بهذه الديار وقد كتب عن ذلك عديد من أبناء نيجيريا حتى صوّر بعضهم الطرق التي يتبعها القوافل حين ينقلون البضائع من بلدة إلى أخرى، ومنذئذ فتح الله عليهم باب التأليف وكادوا يكتبون في جميع الفنون العربية إلى أن تورطت أقدام المستعمرين بهذه الأراضي، وأجلبوا عليهم بخيولهم وأرجلهم، وباتوا يفضلون بعض اللغات على العربية كالإنجليزية والفرنسية وغيرها، ولهم أعوان من أبناء هذه الديار وعلى هذه الحالة أنشاؤوا الجامعات، ولما ظلت الحاجة ماسة في معرفة العادات والتقايد وغيرها اضطروا إلى إضافة الأقسام العربية والتاريخ إلى الأقسام الموجودة فيها، وبدءوا هذه الأقسام بتنظيم الأمور على نحوما أوردوها من البلدان العربية لأن الأساتذة الذين تمت الدراسة على أيديهم في ذلك الحين جلهم عرب إما من مصر أو السودان أو العراق وغيرها إلى أن توارثها المواطنون من أيديهم، وباتوا يوصلون السير على نحوما أورثوها من أساتذتهم ويقومون بالتعديلات اللائقة فيما دعت إليه الحاجة.

فالبحث العلمي اللغوي من أهم الفنون التي اهتم بها العالم اليوم، والعالم العربي مدين بهذه الدراسة لأن مؤلفات السابقين كانت مليئة بهذه الفنون، والأفكار التي يفتخر بها الغرب اليوم مبثوثة في هذه المصنفات كتركة ابن جنى والجرجاني والثعالبى وغيرهم ممن أثر بهم العالم وتلآلات أسماؤهم في سماء التأليف والإبداع.

أما جامعات نيجيريا نظرا للبحث اللغوي الحديث فقد يعدها الإحصائيون ويقسمها إلى أقسام إذ البعض منها يهتمون بهذه الفنون وأنواعها وتجدون العربية عند هؤلاء تمشى على ساقيها وقدميها ويفتخرون بها حلا وترحلا كما يرغبون طلبتهم فيها إلى حد بليغ، في حين تجدون بعضها يهملون كل الإهمال ولا يقدرون لها بشئ بحجة أن الحكومة لم تسامح لهم إلى ذلك الحد، مع أنهم يرون غيرهم في بقية الأقسام لا يقصرون في تأدية هذه الواجبات أي جعل الجامعة ميدان العلم وتطور الفكر – حتى يبنوا لها صرحا ممردا من قوارير، والقسم الأخير وهم بين وبين كأصحاب الأعراف، وهم إماعة يتجهون حيث مالت بهم الريح، لا يمهلونها ولا يعطونها ما يليق بها من العناية، ووصتينا للقسم الثاني والأخير هي أن يهتموا بها ويعتنوا بها كل العناية، لأنها تورث الطلبة حب التطلع ويوسع لهم المدارك. وينير لهم الطريقة عند المسابقة والمنافسة مع غيرهم ممن ينتسبون إلى العلوم اللسنانية.

الهوامش

١- راجع غلادنث أحمد شيخوا (١٩٨٣م) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٠م، مصر دار المعارف ص ٢٢٥

٢- أبوبكر علي، (١٩٧٢م) الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال، بيروت مؤسسة عبد الباسط ص ٢٤٦

٣- عيسى ألبي أبوبكر، (٢٠٠٥م) الرياض، مطبعة المضيف، إلورن ص ١٠

٤- الالوري آدم عبدالله، (١٩٩٢م) مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط/٢ مصر ص ٥-٦

٥- الإلوري آدم عبدالله، (١٩٨٣م) نظام التعليم العربي وتاريخة في العالم الإسلامي، دار المعارف مصر ص/٥

٦- إكوكورو أحمد بن أبى بكر، التقاط المتون في خمسة الفنون، مخطوطة ص ٤

٧- عيسى البي أبوبكر، المرجع السابق،

ص ١٢-١٣

٨- أبو الروس أيمن (دون التاريخ)، كيف تكتب بحثا ناجحا ٢٥ خطوة الإعداد البحوث والرسائل الجامعية، دار الطلائع للنشر والتوزيع مدينة نصر، القاهرة، ص ٨

٩- ابن الفارسي أحمد، مقاييس اللغة، ص ٣٦١

١٠- العربان محمد عبد الحفيظ، (١٩٩٩م) البحث اللغوي وسائله ومناهجه، كلية اللغة العربية بالقاهرة، ص ١٣

١١- العربان محمد عبد الحفيظ، المرجع نفسه، ص ١٥-١٦

١٢- البدراوي زهران (٢٠٠٩م) المعجم العربي تطور وتاريخ، دار الآفاق العربية القاهرة ص ١٧

١٣- البدراوى زهران، المرجع نفسه، ص ٧

١٤- الإلوري آدم عبدالله، مصباح الدراسات الأدبية، ص ١٥-١٦

١٥- غاتا عبدالله سعود، (٢٠١٠م) دلالة المفردات في إمارة إلورن ما بين ١٨٠٠-٢٠٠٠م، بحث الدكتوراه لم ينشر ص الملخص.